أفكار متقاطعة

... لأزمنة الحرب والموت
هستيريا «إسرائيليّة» ملطّخة بالدم

■ جورج كعدي

الموت العميم في غزّة اليوم على يد الوحش «الإسرائيليّ» قاتل الأطفال والمدنيّين، يردّنا إلى أصل هذه العدوانيّة الكامنة لدى الإنسان (إنْ صنّفنا بني «إسرائيل» الصهاينة الوحوش ناساً وبشراً) لمحاولة فهم العلّة تلك المتأصّلة في البشر عامّة، وفي بعض المجموعات الـ«سايكوباتيّة» المريضة، مثل المجموعة الصهيونيّة المجرمة التي وفدت إلى أرض فلسطين واحتلّتها وصادرتها ونكّلت بأهلها قتلاً وقمعاً وتهجيراً.

ليس أفضل لمسألة كهذه من العودة إلى سيّد علم النفس، تحليلاً ومعالجة، زيغموند فرويد، وبخاصّة في بعض أبحاثه حول الحرب، وفيها بحث عنوانه «أفكار لأزمنة الحرب والموت»، وآخر عنوانه «لماذا الحرب؟» هو في الأصل عنوان إحدى الرسائل المتبادلة بين فرويد وآينشتاين عام 1933. ولأنّ عنوان زاويتنا هذه هو «أفكار متقاطعة»، يمكننا أن نعرّج على علماء نفس ومفكّرين آخرين (مثل الرائد الآخر كارل غوستاف يونغ والمفكرة هانّا أرندت) لهم أفكارهم وأبحاثهم وتأملاتهم أيضاً حول العنف والعدوانيّة والحروب، في تقاطع مع أفكار فرويد.

يقول فرويد حول أصل الشعور العدوانيّ «(...) إن اللاشعور لدينا لا ينفّذ فعل القتل إنّما يفكّر فيه راغباً فحسب. لكن من الخطأ التامّ التقليل من أهمية هذا الواقع النفسيّ مقارنة بالواقع الفعلي، فهو مهمّ ومشحون بما فيه الكفاية، فنحن نُبعد يومياً - في اللاشعور - وفي كلّ ساعة كلّ من يقف في طريقنا، وكلّ من أغضبنا أو آذانا، والعبارة القائلة «ليأخذه الشيطان!». التي كثيراً ما تنطلق من بين شفاهنا في غضب ممازح أو التي تعني حقاً «ليأخذه الموت!» - هي في لا شعورنا رغبة موت متعمّدة فائقة الأهمّيّة. والحقيقة أنّ لاشعورنا يمكن أن يقتل حتّى لأسباب تافهة، فهو مثل قانون دراكو الأثيني القديم لا يعرف عقوبة لجريمة إلاّ الموت، وفي هذا قدر معيّن من التماسك المنطقيّ، لأنّ كل إيذاء لأنانا المعظّمة والأوتوقراطية هو في العمق جريمة ضدّ «الذات الملكيّة». فلو حكم علينا بالرغبات الكامنة في لاشعورنا نكون مثل الإنسان البدائيّ مجرّد عصابة من القتلة (...)».

تمنّي الموت للآخر يستعير له فرويد حتى الدعابة قائلاً: «(...) ثمّة سلسلة كاملة من التلميحات والنكات الساخرة التي تؤكد هذا المعنى نفسه، مثل الإشارة التي تُعزى إلى أحد الأزواج القائل لزوجته: «إذا مات أحدنا فسوف أذهب لأعيش في باريس». وما كان ممكناً أن تكون نكات ساخرة كهذه محتملة ما لم تكن تحتوي على حقيقة غير معترف بها ولا يمكن إقرارها لو عُبّر عنها جدّياً وفي جرأة. ففي النكات - كما نعرف - حتّى الحقيقة يمكن قولها (...)».

يضيف فرويد في موقع آخر من بحثه: «(...) إنّ لاشعورنا غير قابل لفكرة موتنا، بقدر ما هو ذو عقل إجراميّ حيال الغريب، وبقدر ما هو منقسم أو متناقض وجدانيّاً حيال المحبوب، هو عقل الإنسان البدائيّ في الأزمنة القديمة. لكن ما أبعد المسافة التي اجتزناها بعيداً عن الحالة البدائيّة في موقفنا التقليديّ المتمدّن حيال الموت. ومن السهل أن نفهم تأثير فعل الحرب في هذه الثنائيّة. إنّها تنزع منّا آخر إضافات المدنيّة وتطرح في العراء الإنسان الأوّل في كلّ منا. إنها ترغمنا مرّة أخرى على أن نكون أبطالاً لا يستطيعون الاعتقاد بموتهم. إنّها تدمغ الغريب بأنّه العدوّ الذي ينبغي قتله أو امتلاك الرغبة في قتله، وتنصحنا بالارتفاع فوق موت أولئك الذين نحبّ. والحرب لا تزال قائمة، طالما أن الأحوال بين الأمم على هذه الدرجة من الاختلاف، وطالما أنّ مشاعر الكراهية بين الشعوب على هذه الدرجة من الحدّة (...)».

يرى فرويد كذلك أنّه «عندما تُحرّض الكائنات البشرية على الحرب يكون لديهم عدد كبير من الدوافع للتصديق عليها، بعضها نبيل وبعضها وضيع، بعضها يتحدّثون عنه صراحة وبعضها الآخر يلتزمون الصمت في شأنه. ولا حاجة بنا إلى تعدادها كلّها. لكن المؤكد أنّ شهوة العدوان والتدمير هي بينها، والبشاعات التي لا تُحصى في التاريخ وفي حياتنا اليوميّة تشهد على وجودها وقوّتها. إنّ قوة جاذبية هذه الدوافع التدميرية يسهّلها امتزاجها بدوافع أخرى من النوع الشبقيّ والمثاليّ. وحين نقرأ عن المذابح الجماعيّة التي كانت تُرتكب ماضياً يبدو أحياناً أن الدوافع المثاليّة كانت مجرّد ذريعة للشهوات التدميريّة، وأحياناً - كما في الفظائع التي ارتكبت في محاكم التفتيش - تبدو الدوافع المثاليّة كأنّها تقدّمت شعوراً، فيما اكتسبت الدوافع التدميرية تعزيزاً لاشعوريّاً».

أمّا كارل غوستاف يونغ فيقول في كتابه «النازيّة في ضوء علم النفس»: «(...) رأيت من الخير أن أفسّر «الاستعداد الهستيريّ» بأنّه يشكّل فرعاً ممّا يسمّى بـ«النقائص السيكوباتيطيقية». لا ينطوي هذا الاصطلاح على أنّ الفرد أو الشعب هما «ناقصان» من كل جانب، بل ثمّة مكان تكون فيه المقاومة في حدّها الأدنى، وهو حال من القلق الخاص في معزل عن جميع الصفات الأخرى. معنى الاستعداد الهستيريّ أن الأضداد المتأصّلة في كل نفس، خاصة الأضداد التي تؤثّر في الشخصية، بعضها منفصل عن بعضها الآخر أكثر من انفصالها في الناس العاديين (...)».

يؤكد يونغ على أن الهستيريا كمرض نفسيّ يمكن أن تصيب أمماً مثل الأفراد، أي يمكن التحدث عن «أمّة هستيريّة»، وإن كان صبّ بحثه على هستيريا الأمّة الألمانية زمن النازية، يسعنا على هدي هذا البحث وضع صهاينة «إسرائيل» مكان النازيّين فلا يتبدّل شيء علميّاً وموضوعيّاً، لأن «الإسرائيليّين» مصابون جميعاً بهستيريا، ولنا أن نراقب فحسب حجم إجرامهم وذعرهم وتخبّطهم لنبصر هذا التصرّف الهستيريّ المرضيّ. يقول يونغ: «(...) حين أقول إنّ الألمان مرضى نفسيّاً فهذا الوصف أخفّ من القول إنّهم قوم مجرمون. لا رغبة لديّ في استثارة حساسية الإنسان المصاب بالهستيريا، فتلك حساسية سيّئة السمعة على ما نعلم (...) لا يتأتّى لنا شفاء الهستيريا بطمس الحقيقة. لا فرق في ذلك أن يكون المصاب بها فرداً أو أمّة. ليس أشدّ الناس جنوناً هو الجنون المطبق، إذ يظلّ عدد كبير من وظائفه يعمل بصورة طبيعية، بل قد يكون هو نفسه أقرب إلى السلامة العقليّة أحياناً. وهذا أكثر ما ينطبق على حالة الهستيريا التي لا خطأ فيها سوى مبالغات وإفراطات من ناحية، وضعف أو شكل موقّت يصيب الوظائف الطبيعيّة من ناحية ثانية. المهستر، رغم مرضه النفسي، قريب جداً من الحالة السويّة تماماً، رغم أن مجمل الصورة لا يمكن إلاّ وصفها بالهسترة. لا شك في أن للألمان سيكولوجيّتهم الخاصة التي تميّزهم عن جيرانهم، رغم الصفات الكثيرة التي يشتركون فيها مع سائر أبناء البشر. ألم يقدّموا إلى العالم دليلاً على أنهم يعتبرون أنفسهم «العرق المتفوّق» وأنّ لهم الحق في عدم التقيّد بأيّ مبدأ أخلاقيّ إنسانيّ؟ وصموا الأمم الأخرى بالانحطاط وفعلوا كلّ ما في وسعهم للقضاء عليها (...)، الظاهرة التي شهدناها في ألمانيا لم تكن سوى انفجار أوّل للجنون الوبائيّ، انفجار للاوعي (الخافية) في عالم بدا لنا محكم التنظيم. إنّ أمّة بأسرها، وملايين لا تحصى تنتمي إلى أمم أخرى، اجتاحها جنون ملطّخ بالدم، جنون حرب إبادة. لا أحد كان يعلم ما يحدث له، وكان الألمان أقلّ الناس علماً وسمحوا بأن يُساقوا إلى مسلخ الذبح مثل أغنام منوّمة على أيدي قادة مصابين بلوثة في عقولهم. ولعلّ الألمان كان مقدّراً لهم أن يبلغوا هذا المصير، إذ لم يُظهروا سوى مقاومة ضعيفة للعدوى العقليّة التي كانت تهدّد كل أوروبيّ (...)».

إلى منتقيات سريعة من نظرة هانّا ارندت (المفكرة اليهوديّة للمناسبة) إلى عنف الدول وعدوانيّتها: «(...) رغم أن فاعليّة العنف لا تعتمد على العدد إذ في إمكان رام واحد يحمل رشّاشاً أن يُخضع مئات الناس المنظّمين، فمن المؤكد أن السمات الأكثر خطورة وجاذبيّة للعنف تتبدّى على نحو أوضح لدى اللجوء إلى العنف الجماعيّ، بغضّ النظر عن الأمان الذي يوفّره الانخراط في الجماعة. صحيح تماماً أن الفردية هي القيمة الأولى التي تختفي لدى اندلاع العمليّات العسكرية أو العمليّات الثوريّة، ويطالعنا مكانها نوع من التلاحم الجماعيّ الذي يتكثّف الإحساس به، ويظهر أقوى كثيراً - رغم قصر عمره - من أشكال الصداقة المدنيّة أو الحميمة كافة (...) أمّا العنف والسلطة فليسا في أيّ حال ظاهرتين طبيعيتين، أي ليستا تجلّيا لمسيرة الحياة، بل ينتميان إلى ملكوت السياسة المهيمنة على قضايا البشر (...)».

للأفكار والتأمّلات والأبحاث حول العدوانيّة المتاصلة في البشر والحرب والموت صلة، ومناسبات آتية لتناولها والعودة إليها.

يقدّم نموذجاً لقدرة المبدع السوريّ على إنجاز أعمال عالميّة ذات قيمة إنسانيّة

الفنّان التشكيليّ موفق مخول: لوحة الشارع تنشر ثقافة بصريّة جماليّة وطنيّة

دمشق - محمد سمير طحّان

يقدم التشكيلي موفق مخول نموذجاً لقدرة المبدع السوري على إنجاز أعمال فنية عالمية تحمل قيمة إنسانية كبيرة وفي أصعب الظروف التي يشهدها الوطن وضمن الإمكانات المتاحة، إذ استطاع إدخال عمله الجداري الذي أنجزه مع مجموعة فنانين من العاملين في وزارة التربية في موسوعة «غينيس» للأرقام القياسية، وكان هذا العمل الأول نوعاً في العالم المنجز بمواد من بقايا البيئة.

وعن هذا العمل وأهمية الفن الموجه إلى الناس يقول مخول «إن الفكرة بدأت معنا في تزيين حائط مدرسة بسام حمشو والمتحف المدرسي بمواد من بقايا البيئة، وكانت النتيجة جميلة فقررنا تكرارها على جدار أكبر لإحدى مدارس دمشق في منطقة المزة لإدخال الفرح إلى نفوس الناس في ظل ما يعيشونه من حزن وألم بسبب الأزمة. هذا العمل كان رسالة أيضا للعالم لتعريفهم بحقيقة الشعب السوري الحضاري وقدرته على تقديم الفن والجمال في أحلك الظروف التي يعيشها، ولتغيير الصورة المشوهة التي يقدمها الإعلام في الخارج عنا كشعب يحب القتل ويسعى إلى الموت. العمل يكسر أيضاً صمت الجدران في دمشق ويخلق حواراً جمالياً فنياً بين هذه الجدران والناس، من خلال رسالة بصرية فنية وطنية تقف في وجه الظلامية وثقافة القتل».

يعتبر التشكيلي السوري أن مجتمعنا في حاجة اليوم إلى فن شعبي تفاعلي يغني الذائقة البصرية لدى الناس ويدعو إلى الحب والجمال وأعمال الفكر فـ«الصراع الذي نعيشه اليوم هو صراع فكري وثقافي ولا يمكن الدفاع عن الوطن ضدّ الفكر الظلامي الحامل الموت إلا بالفن والجمال والثقافة».

يوضح موجّه مادة التربية الفنية في وزارة التربية أن الفن التشكيلي السوري كان طوال السنوات الماضية بعيداً عن الناس، إما في المتاحف أو في بيوت الأغنياء، مع غياب شبه كامل للفنون الجدارية في الشوارع العامة. ويضيف: «حاولنا في هذا العمل إدخال فن تشكيلي جديد على الذائقة البصرية الشعبية لدينا وإثبات إمكان إنجاز عمل فني متكامل باستخدام مواد رخيصة لتعليم الناس صنع الجمال والفن من دون كلفة كبيرة، وضمن الامكانات المتاحة، مع تفعيل التفكير بصرياً وحب الأشياء حولنا وامتلاك القدرة على تحويل اللاشيء الى قيمة فنية وبصرية وجمالية وفكرية. اتصلنا بموسوعة غينيس واستطعنا الحصول على أول رقم في هذا النوع من الفنون التي لم تدخل بعد في هذه الموسوعة، وحصلنا على شهادة باسم سورية كصاحبة أول لوحة فنية تشكيلية جدارية في الشارع من الفن الحديث مشغولة ببقايا البيئة».

يعمل مخول راهناً مع مجموعته الفنية على إكمال اللوحة الجدارية «اندفاعات لونية بيئية» إذ يسعون إلى تطويع الفضاء المحيط بها ليكون متوافقاً معها بصرياً، فتم الاشتغال على الجدران المحيطة والأسطحة والمداخل وحتى خزان الكهرباء مع وضع كراسي للزوار الذين يقصدون اللوحة لمشاهدتها، حتى صار هذا العمل معلماً سياحياً وفنياً بارزاً في دمشق.

يعبر مخول عن حماسته لتعميم هذه التجربة الفنية في أنحاء سورية كافة وأن تكون حاضرة في مشروع إعادة الإعمار الذي سيشمل مناطق كثيرة في الوطن، مبيناً أن ثمة عدة أفكار تهيّأ حالياً لتنفذ في هذا السياق على نطاق واسع مستقبلاً. وعن الفن التشكيلي السوري في المرحلة الماضية يقول مخول: «إن الحركة التشكيلية السورية هي الوحيدة التي استمرت في العمل خلال الأزمة وبلا توقف، فالفن التشكيلي هو الأقدر على إعطاء القيم الجمالية وملامسة الروح الإنسانية فهو فن فردي وكلفته قليلة ويمكن مشاركته مع الناس بشكل كبير لكونه أكثر ديمومة من بقية الفنون. إن الدول التي خرجت من الحروب والأزمات الفكرية والنفسية كان للفن التشكيلي فيها دور مهم في تحصين الفكر الإنساني الناضج الذي استطاع المقاومة، ففي أوروبا كانت هناك نهضة تشكيلية قوية جداً بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت فنون حديثة أكثر شعبية اعتمدت الشارع في عرض إنتاجها مثل فن الغرافيتي على الجدران الذي نشر ثقافة بصرية جديدة»، معبّراً عن تفاؤله بمستقبل الحركة التشكيلية السورية، مؤكداً «خطونا أول خطوة في تقديم لوحة الشارع ما سيحض البعض على العمل وإعادة ترتيب التفكير حيال الثقافة الشعبية وفن الشارع».

يشدّد فنان اللوحة الجدارية «اندفاعات لونية بيئية» على أهمية الخروج من «العقلية المتحفية» في الفن وتقديم فنون حديثة تعتمد التفاعل مع الناس في الشارع، معتبراً أنّ هذه الآلية في التفكير يجب أن تكون معممة في جميع مناحي الحياة عبر المبادرات التشاركية والعمل التطوعي التفاعلي للمساهمة في إعادة إعمار سورية لتكون في الصورة الجميلة التي نتمناها جميعاً.

يختم مخول قائلاً إن هناك فنانين ممن أفادوا من الأزمة لتسويق أعمالهم الفنية في الخارج، لافتاً إلى أن الفنان الذي يعيش أزمة الوطن هو الذي بقي فيه ولم يغادره واستمر في العمل وتسخير الإمكانات المتاحة كلها لتقديم عمل فني حضاري إلى الناس والوطن.

مكتبة «البناء»

رواية «حماقة ماركيز» لعوّاد علي

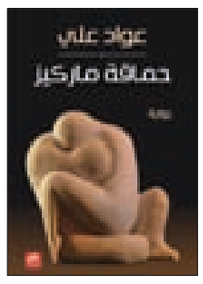

صدرت حديثاً لدى دار «فضاءات للنشر» في عمّان رواية «حماقة ماركيز» للروائي العراقي عواد علي، وهي الرواية الثالثة له بعد «حليب المارينز» (2008) و«نخلة الواشنطونيا» (2010). ويدور حدث الرواية الرئيسي في مدينة أربابخا (كركوك) خلال يوم واحد في شتاء عام 2009، لكن الشخوص تسترجع حوادث تمتد إلى 23 عاماً وتدور في جبهات الحرب العراقية - الإيرانية ومدن عراقية أخرى، وفي تركيا واليونان والمكسيك وكولومبيا، في سياق سردي يجمع بين المنحى الواقعي والغرائبي.

تنتصر الرواية لعلاقة الحب السامية بين البشر ضد الكراهية من خلال التساؤل الذي طرحه الروائي الكولومبي ماركيز «ألا يستحق الحب أن نجنّد أعمارنا لأجله بدلاً من الكراهية...؟» ذلك عبر سرد بوليفوني (متعدد الصوت)، تتناوب عليه شخوص الرواية التي تنحدر من مكونات إثنية ودينية وفئات متنوعة في المجتمع العراقي (سلمان العربي، نورهان التركمانية، فرهاد الكردي، مراد التركماني، بولينا الكلدانية، فادي الآشوري).

تأخذ الرواية عنوانها من اسم ماركيز، المهووس به بطل الرواية «سلمان البدر»، خريج اللغة الإسبانية، كما يقول صديقه مراد في الفصل الأول: «أتذكره كلما وقعت عيناي على كتاب لماركيز. كان شغوفاً بهذا الكولومبي على نحو جنوني، يحمل كتبه بلغتها الأصلية حتى في الخط الأمامي للجبهة، ويسميه أحياناً بلقبه الشعبي «غابو»، كأنّ أمه ولدته في بوغوتا... حين عرّفني إليه فرهاد قال لي: أقدّم لك صديقي سلمان البدر، ولن يغضب إن ناديته باسم ماركيز، فهو مهووس به، ويستوحي منه جرعة الخيال».

يقول الناقد د. صبري حافظ في تقديمه للرواية: «تتجلى في هذه الرواية الأخيرة من ثلاثية «الحب والاحتلال»، للروائي العراقي عواد علي، وجوه أربابخا، الإسم البابلي لمدينة كركوك، من خلال تداخل العشق والأحلام والحروب. ويمثل وجود بطل الرواية «سلمان البدر» المتراوح بين الموت والحياة، منذ الحرب العراقية - الإيرانية حتى الغزو الأميركي، مركزاً للسرد تنطلق منه الشخوص في تأمل حاضرها وماضيها، والاحتلال الذي تنوء تحته».

مقطع من الرواية: «تقرير طبي: استناداً إلى إفادة اثنين من الممرضين في المستشفى الجمهوري في أربابخا، اقتحمت يوم الرابع عشر من شباط 2009 امرأة مختلة العقل تدعى نورهان كمال هرمزلي، مخزن المواد السامة، وأخذت منه إحدى الزجاجات، وأفرغت المادة القاتلة في جوفها ظناً منها أنها عصير ليمون، وسرعان ما بدأ أثر السم يدبّ في جسدها، وأصبحت أطرافها واهنة كالقطن، وتكسّرت عظامها تحت جلدها، وقفز قلبها من صدرها إلى الأرض وأخذ يذوب كقطعة ثلج، ويتسرب في خيط رفيع إلى صالة العمليات. وهناك حدث ما يعجز الطب والعلم عن تفسيره: نفذ سائل قلب المرأة إلى صدر جثة رجل مات توّاً يدعى سلمان إبراهيم البدر، كان قد أصيب في مواجهة مع قوات التحالف، فعادت إليه الحياة فوراً، رغم أن الأطباء فشلوا في إنقاذه».

تأمّلات لألكسندر كلوغه من «ثقب الألواح الصلبة»

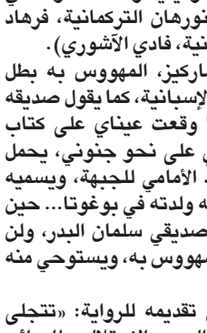

يقدم الكاتب الألماني ألكسندر كلوغه تأملات فلسفية وسياحة تاريخية في صيغة حكايات سياسية بعضها عن «مهنة» السياسي الأشبه بعملية إحداث ثقب في لوح صلب، ويفسر بعضها لِمَ المجتمعات البشرية «في حاجة ضرورية دوماً إلى حاكم» لحاكم أكثر قسوة لمنع وقوع حروب أهلية. ويقول «إن على الحاكم التصدي لمثل هذه الحروب الأهلية وإلاّ أصبح بمثابة أداة لا قيمة لها إذ يتعين عليه ترويض القسوة، ما يدفعه أحياناً إلى أن يكون أشد قسوة من رعاياه». ويسجل أن الفيلسوف البريطاني توماس هوبز (1588–1679) درس تاريخ الحروب الأهلية في بريطانيا وهو يتأمل هذا المعنى «الإنسان ذئب لأخيه الإنسان»، وهذا ما انتقده آخرون بعد نحو مئة عام.

يقول كلوغه في كتابه «ثقب الألواح الصلبة... 133 حكاية سياسية» إن الصديقين الاسكتلنديين آدم سميث (1723–1790) وديفيد هيوم (1711–1776) خالفا هوبز انطلاقاً من كون الإنسان كائناً اجتماعياً سياسياً وليس دقيقاً تشبيهه بالذئاب التي تتسم حياتها «بالشر والخطورة» وإن كانت تتعاون معاً من دون دستور ينظم علاقاتها. ويسجل قول سميث وهيوم حول أن الإنسان إذا تعرض للعدوان يكون أكثر تركيزاً من الذئب عشرات المرات ويصبح «بمثابة حيوان مفترس قادر على اصطياد فريسته» لكنه يحتفظ رغم ذلك بسمتين بارزتين لا تتمتع بهما الذئاب على الإطلاق وهما الموضوعية والتعاطف مع الآخر.

في مقدمة الكتاب يفسر المؤلف اختياره عنوان «ثقب الألواح الصلبة» بالإحالة على وصف الألماني ماكس فيبر (1864–1920) للسياسة بأنها مهنة تتلخص في أنها «ثقب قوي وبطيء في ألواح صلبة بتفان وحسن تقدير ودقة في الوقت ذاته»، وهكذا تحتاج هذه المهنة إلى كثير من المراس والذكاء.

كلوغه، الذي ولد عام 1932 درس القانون والتاريخ والموسيقى وعمل في المحاماة ثم درس السينما على يد المخرج فريتس لانغ ونال جوائز في الإخراج منها جائزة الفيلم الألماني عام 2008. والكتاب في 295 صفحة قطعاً كبيراً، ترجمته إلى العربية علا عادل، أستاذة الأدب الألماني في جامعة عين شمس، وصدر لدى «دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات» في القاهرة.

غير أن الرؤية الغربية الاستشراقية توجه المؤلف في الحكم على بعض الوقائع التاريخية ومنها قيام سليمان الحلبي - وهو طالب سوري عمره 23 عاماً كان يدرس في الأزهر في القاهرة- بقتل الجنرال كليبر الذي تولى في آذار 1800 قيادة جيش الاحتلال الفرنسي في مصر بعد عودة نابليون إلى فرنسا. فيقول كلوغه إن الحلبي احتال على كليبر وطعنه في صدره ثلاث طعنات فحكمت محكمة عسكرية بإعدامه على الخازوق مع ثلاثة من مدرسيه في جامعة الأزهر، بحجة أنهم عرفوا أمره ولم يبلغوا سلطات الاحتلال، ووضع جسد الشاب على عمود مسنن (خازوق) اخترق أحشاءه «وتحمل العذاب بشجاعة وثبات... فأصاب ردّ فعله الجلادين بخيبة أمل» إذ كانوا يريدونه أن يبكي ويصرخ.

لكن المؤلف لا يتعاطف مع الحلبي ولا يذكر أن الحكم تضمن أيضاً حرق يده اليمنى، ويسجل أن مراجعة للحكم أجريت لاحقاً من قبل محكمة قضائية عسكرية انتقدت «الطريقة البربرية في تنفيذ حكم الإعدام». ويعلق كلوغه على الواقعة كأنه يتهم الشاب من دون أن يذكر حقه في مقاومة جيش الاحتلال، قائلاً: «بقي جسد ذلك المتطرف الأصولي معلقاً في هواء الصيف أياماً ثلاثة. لاحقا قام رئيس الجراحين لاري باستخلاص العمود الفقري من كل قطع اللحم والطفيليات والميكروبات. وخلال إجلاء الفرنسيين عن مصر عني الجراح باصطحاب الهيكل العظمي في خزينة خشبية إلى فرنسا وحفظت رفات الجاني المشهور في حديقة النباتات في متحف تاريخ الطبيعة في باريس».

«إيفان إيليتش» لتولستوي في ترجمة عربيّة

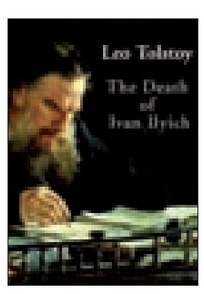

صدرت ضمن سلسلة «آفاق عالمية» التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة في القاهرة، صدرت الرواية التي يعتبرها بعض النقاد أشهر روايات تولستوي بعد «الحرب والسلام»، وعنوانها «موت إيفان إيليتش» وهي من أكثر الأعمال الأدبية إثارة للأسئلة عن الحياة والوجود والموت في مناقشة ذات عمق سيكولوجي. وتقول رسالة تولستوي في «موت إيفان إيليتش»: «من السهل أن تنسى الموت في خضمّ انشغالك بالحياة والأعمال اليومية الروتينية. ومع ذلك فإننا جميعا في طريقنا لأن نموت ذات وقت حتى. وحتى لو لم يقع لنا حادث سخيف يودي بنا إلى مرض طويل مثلما حدث لإيفان إيليتش، فإننا لا نزال نواجه الموت. إن من السهل نسيان الموت عندما يبدو كلّ شيء على ما يرام. وهذا هو السبب في أن إيفان لم يكن يفكّر فيه. لكن ذلك غير مهم. فالموت زحف إليه عندما لم يكن يتوقّعه».

تقول المترجمة مها جمال في تقديمها للرواية إن إيفان إيليتش كان يلعب دوره المرسوم له سلفاً في الحياة. كان ناجحاً جدّاً في عمله. لكنه، كقاض في المحكمة، لم يكن لديه سوى القليل من المشاعر، كان يجرّد الناس من إنسانيتهم وينظر إليهم على أنهم مجرّد «قضايا» وليس أكثر، الشكليات لديه كانت أكثر أهمّية من أي نوع من الشعور الإنساني. جلّ ما يشغل أطباءه هو البحث في أسباب مرضه، وهم ليسوا منشغلين في ما إذا كان سيعيش أو يموت، تماماً مثلما أن إيفان نفسه لم يكن يهتمّ أبداً بما إذا كانت أحكامه القضائية منصفة أو ظالمة.

اذا كانت «موت إيفان إيليتش» أوّل عمل أدبي مهم كتبه تولستوي بعد تحوّله عن الدين، وكونها مواجهة قويّة مع مشكلة الموت ومعنى الحياة، تنطوي كذلك على سخرية حادّة من أسلوب حياة أفراد الطبقة الوسطى الحديثة، مثلما يجسّدها إيفان إيليتش، فكان تولستوي يراقب موقف هؤلاء من الحياة وهو يتشكّل في أيّامه، وكان يعتقد أن الذين يتبنّون هذه النوعية من الحياة غير قادرين على مواجهة الموت لأنهم لم يفهموا الحياة.

بعض القرّاء أعجبوا بالرواية لرسالتها الأخلاقية القويّة، لكن آخرين رأوا فيها بداية النهاية لتولستوي كفنّان، فبمجرّد شروعه في لعب دور الواعظ الأخلاقي فقدت كتاباته تعقيدها ووهجها وأضحت ذات بعد واحد. ويقول إيفان لأطبّائه في أحد أجزاء الرواية: إنكم تعرفون جيّداً أنكم لن تتمكّنوا من فعل شيء لمساعدتي، لذا اتركوني وشأني، فيجيب أحدهم: نستطيع أن نخفّف من معاناتك، فيردّ إيفان قائلا: لا يمكنكم حتى أن تفعلوا ذلك. فقط اتركوني وشأني!

رواية «موت إيفان إيليتش» لتولستوي، من العلامات الباهرة في الرواية العالمية الحديثة. اكتشاف وتحليل دقيق غير مسبوق لأعماق الروح الإنسانية في اللحظة الفاصلة من الحياة، لحظة المواجهة مع المصير النهائي، ما جعلها تتصدر قوائم أهم الأعمال الإبداعية في الثقافات المختلفة. وترجمة مها جمال كاملة ودقيقة تراعي الخصائص الأسلوبية واللغوية في النصّ الفريد المرهف.

مبدعون كبار يؤكّدون أهمية الاستيقاظ في ساعة باكراً

يقال إن على الكتاب الشبّان اتباع نصيحة الأدباء الكبار القائلة: «ضع دفتر ملاحظات قرب السرير واقرأ بنهم واكتب أكثر مما تقرأ». لكن هناك من يضيف نصيحة التزم بها مبدعون عظام هي الاستيقاظ باكراً.

يتناول كتاب «طقوس يومية» للمؤلف مايسون كاري الوقت الذي كان يمضيه في النوم والتمارين البدنية والأكل أدباء مثل تشارلز ديكنز وفرانز كافكا، ويشير الكتاب الى أن الكاتب الياباني هاروكي موراكامي يمضي ساعات اليوم من الأولى بعد الظهر الى الثامنة مساء في الأعمال المنزلية وإنجاز المعاملات الرسمية والجلوس مع العائلة، في حين أن الموسيقي فولفغانغ أماديوس موزار كان يستمتع بالجلوس خمس ساعات مع الأصدقاء إلى مائدة الغداء قبل أن يتناول وجبة العشاء بين الساعة الثامنة والحادية عشرة مساء. وكان فولتير يمضي الدقائق بين ساعة الظهيرة والثانية عشرة والنصف في ارتداء الملابس، في حين كان فكتور هوغو يخصص ساعتين يومياً لأخذ حمامات ثلجية وزيارة الحلاق. لكن هؤلاء المبدعين الكبار على اختلاف عاداتهم يشتركون في أمر واحد هو الاستيقاظ في ساعة باكرة صباحا. ويعتبر أونوريه دي بلزاك حالة متطرفة إذ كان يستيقظ للكتابة في الساعة الأولى بعد منتصف الليل. وكان دبليو. اتش. اودن ولودفيغ بيتهوفن ولو كوربوزييه وفكتور هوغو يحبون الاستيقاظ في الساعة السادسة صباحا، في حين أن كورت فونيغوت ومايا انغيلو كانا يستيقظان في ساعة أبكر. والساعة الرابعة فجراً هي ساعة الاستيقاظ المفضلة لكل من موروكامي وفولتير وجون ملتون.

محمد عسّاف يعلّق نشاطاته الفنيّة كافة بسبب العدوان على غزة

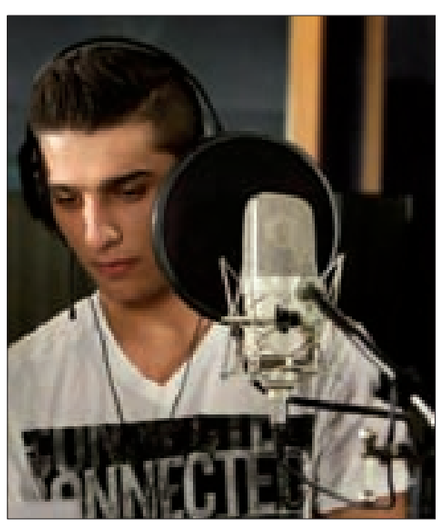

أعلن الفنان الفلسطيني الشاب محمد عساف وقف نشاطاته الفنية كافة في المرحلة المقبلة بسبب العدوان «الإسرائيلي» الغاشم على قطاع غزة. وقال عساف في تدوينة على صفحته الشخصية في موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك»: «لأنّها غزة الأبيّة، مدينتي التي أفخر بها، كرامة لدماء شهدائنا الأطهار الأكرم منّا جميعاً، ولأنّه لا يمكن لصوتي أن يصدح وشعبي تحت العدوان، أعلن عن وقف جميع النشاطات الفنية الخاصة بي في المرحلة المقبلة، والتي كنت قد ألغيت القسم الأكبر منها منذ اليوم الأول للعدوان الغاشم. تحيا فلسطين، تحيا غزة. الرحمة لشهدائنا الأبرار. النصر لشعبنا الفلسطيني المقاوم وحسبنا الله و نعم الوكيل!».

وكان الفنان قد أنتج وخلال العدوان المستمرّ على غزة أغنية «ارفع راسك هذا سلاحك» وأخرجها في ميديو كليب المخرج الفلسطيني سامح المدهون وعرض خلالها لقطات من العدوانين على غزة عامي 2012 و 2014 داعياً فيها الفلسطينيين إلى الصمود على أرضهم والتشبث بها. ودعا عساف الذي يشغل منصب سفير الأونروا للشباب أكثر من مرة خلال لقاءات أجراها العالم لرفع الظلم الواقع على الفلسطينيين وعلى قطاع غزة مسقط رأسه خاصة. كما بدأ حملة لجمع التبرعات والمساعدات لغزة بعد الأوضاع الكارثية التي وصل إليها القطاع جراء الحرب «الإسرائيلية» عليه والدمار الواسع في البنية التحتية والمرافق العامة ومنازل المواطنين التي لحقت به.